



## لا تذهب إلى الليل وحيداً

زهير أبو شايب

(1)

موجودٌ لتحلم

ستظلُّ تحلم

أنتَ موجودٌ لتحلم

ضعْ يديك على كتابِ الماءِ،

واحلفْ أنْ تعودَ إلى سماءِ

كنتَ تلمسُها براحتكِ الصغيرةِ،

أو تحبِّي ليلها في جيبكِ السريِّ

موجودٌ لتحلم تحت داليةٍ

وتكملَ ظلها .

---

زهير أبو شايب، شاعر من الأردن

خَلَّ الْمَكَانَ مَكَانَهُ ، وَاذْهَبْ لِتَحْلُمَ  
خَلَّ جَذْرَكَ تَحْتُ  
حَيْثُ النَّبْعُ يَصْعَدُ نَفْسَهُ  
وَالظِّلُّ يَكْفِي لِلنَّعَاسِ

هنا مكانك  
تحت نفسك  
تحت سطح الأرض  
لن تحتاج ، كي تبقى هنا ، حتى إلى اسم أبيك  
لن تحتاج منفي آخر  
انتهت السماء هنا  
انتهى الماضي  
انتهى الضوء القديم  
فضع يديك على كتاب الماء ،  
واحلف أن تعود إلى سماء كنت تتبّعها  
لتعرف أين أنت  
وما هو اسم أبيك واسمك واسم أمك  
يا ابن فلاحين لا يكون  
لا يتذكرون دموعهم  
إلا أمام بلادهم .

خَلَّ الْمَكَانَ مَكَانَهُ لِتَعُودَ  
خَلَّ الْأَرْضَ أَكْثَرَ وَالسَّمَاءَ أَقَلَّ  
خَلَّ الذَّنْبَ فِي الرُّؤْيَا

لتبحث عن دمٍ كذبٍ على القمصانِ .  
وليتته التاريخُ  
ما لك أنت والتاريخ؟  
ولينس المكان متى أتيت وما هو اسمك  
ولیکن ما كان .

خلّ المكان مكانه  
واذهب إلى النسيان .  
وارم السلام على البيوتِ  
ارم السلام  
ومشّ قلبك حولها  
واحلم على الجدران .

(٢)

أحلام متقاطعة

فرشت عباءتها الحرير  
على حفاف الليل  
حتى خلّت أن الأرض  
لو سقطت عليها ريشة من طائرٍ لتهدمت .

سيظلّ ضوء ما يشعشع في المكانِ  
وسوف أبقى مثلما أنا :

كائنًا متخَيِّلاً  
حُلِّمَتْ بِهِ امْرَأَةٌ  
وَحَاوَلُ أَنْ يَغَادِرَ حُلْمَهَا مَشِيًّا عَلَى الْأَقْدَامِ .  
لِيَكُونَ حُرًّا مِثْلَهَا  
وَيَرَى حِفَافَ اللَّيْلِ  
عِنْدَ تَقَاطُعِ الْأَحْلَامِ .  
لَكِنَّهَا نَهَضَتْ وَلَمْ تَكْمَلْهُ  
لَمْ تَتْرُكْهُ يُكْمِلُ نَفْسَهُ  
وَمَضَتْ إِلَى رُجُلٍ سِوَاهُ  
مَضَى إِلَى امْرَأَةٍ سِوَاهَا .

سَيَظَلُّ ضَوْءٌ مَا يَشْعَشَعُ فِي الْمَكَانِ  
وَسَوْفَ أَبْقَى مِثْلَمَا أَنَا :  
أَتَّبِعُ امْرَأَةً حُلِّمْتُ بِهَا  
وَزَحْزَحْتُ النِّسَاءَ لَكِي أَرَاهَا .  
لَكِنَّهَا فَرَشَتْ عِبَاءَ تَهَا الْحَرِيرِ  
عَلَى حِفَافِ اللَّيْلِ  
عِنْدَ تَقَاطُعِ الْأَحْلَامِ .  
وَمَضَتْ وَلَمْ تَرَ حُلْمَهَا  
وَأَنَا أَحَاوِلُ أَنْ أَعُودَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً  
لَأَبْقَى مِثْلَمَا أَنَا :  
كَائِنًا مِتَخَيِّلاً .

فصام

لا تُقل لي:  
انتصفَ الليلُ على صدركِ  
لم تذهبِ إلى الليلِ وحيداً  
فانتظرِ نفسكِ في العتمَةِ  
أنتِ الميتُ الآنَ  
ولا شيءَ أنا

لا تُقل لي كَلِمَاتٍ:  
انتظرِ لا تلمسِ الفجرَ  
انتظرِ أنتِ إذا شئتِ  
وخذِ ليلَكَ  
واسقُطِ فيهِ  
خُذِ أحلامَكَ الأولى  
وخذِها لترى نفسكِ  
أنتِ الميتُ الآنَ  
ولا شيءَ أنا

خائفٌ، أعرفُ  
مهزومٌ ولا أؤمنُ إلا بالسُدَى، أعرفُ  
غادرتُكَ في الماضي  
ولم آخذُ سوى اسمي وحدَه منكِ  
وأصبحتُ أنا

إنها تمطر في الخارج،  
لكن ليس لي  
تمطر،  
لكن في الأساطير،  
لطفل لم يزل  
ينظر من صورته فوق الجدار  
نحو لا شيء،  
ولا يبقى من الليل سوى عتمته.  
لا تجيء من أجله يا برق  
كي يهبط من صورته.

نحن لسنا نحن  
نحن اثنان:  
ظلي وأنا  
فانتظر نفسك في العتمة  
هذا الليل يكفي لقتيل واحد:  
أنا  
أو أنت  
ولا يكفي لنا.

(٤)

جننا ولم يكن المكان هنا

لم تتركوا أرضاً لنحلم فوقها

فَدَعُوا السَّمَاءَ مَكَانَهَا لَنَرَى  
دَعُوا الْمَاضِي كَمَا هُوَ  
فِي مَكَانٍ آخَرَ  
الْمَاضِي الَّذِي لَمْ يَأْتِ بَعْدُ  
دَعُوا سِرَابًا كَافِيًا  
كِي نَعْبَرَ الصَّحْرَاءَ نَحْوَ اللَّهِ  
كِي نَتَعَلَّمَ الصَّحْرَاءَ  
وَالضُّوْءَ الْمَكْسَّرَ  
وَالْحَنِينَا .

جئنا ولم يكن المكان هنا  
وعلقنا المنازل في الجبال  
كأنها أرواح جدات  
وألّفنا السنيننا .

جئنا خفافاً  
ربّما لنكون ليلاً  
أو تراباً  
أو فراغاً جاهلاً  
أو نحنُ

جئنا ربّما لنكون نحنُ  
وربّما لننظّل منسيين في الأحلام  
أو لنقول للتاريخ:  
خُذْ مَا شِئْتَ مِنْ أَسْمَائِنَا

واترك لنا بعض السراب لكي نرى  
كم نخلة فصحي  
وكم حلماً  
وكم صحراء فينا .

(٥)

ماذا تريد الفراشة من نفسها

تعلمت كيف أمُر من الليل  
طيلة عشرة آلاف عام  
وكيف أخفف ضوء النجوم لأحلم أو لأحب

تعلمت كيف أرى :

أضع الليل في لغتي وأنا أتكلّم  
والناس حولي  
يظنون أنني أعاشر جنيّة  
أو أعافر خمرا .

وكنت أعاشر جنيّة وأعافر خمرا .

تعلمت أن أضع البحر في نقطة  
وأنقله موجة موجة  
من فلاة لأخرى .

تعلمت ماذا تريد الفراشة



من نفسها ومن الورد،  
ماذا يريد المسافر من ظله في الطريق،  
وماذا أريد من امرأة أو سماءٍ  
لأكتب شعرا .

تعلمت أن هديّة قيصر مسمومة  
كهديّة كسرى .

ولكنني بعد لم أتعلم من الليل  
كيف أعود إلى حضن أمي  
وكيف أكون أنا  
وأنا ما تعلمت شيئاً  
سوى اسمي .

(٦)

رغبة ترفع الماء

دونما سبب  
سوف أترك نفسي إلى أول امرأة  
وأقول لها:

لا أحبك  
لا شيء يدعو إلى الحب

فَلتَتَفَقَّقْ: أَنْتِ أَرْمَلْتِي  
وَأَنَا مَيِّتٌ مِنْذُ عَشْرِ نِسَاءٍ  
وَلَكِنِّي لَمْ أَكْفَ عَنِ الْمَوْتِ بَعْدُ  
وَلَا فَرَّقَ عِنْدِي  
إِذَا كُنْتُ أَحْمَلُ آثَارَ لَيْلٍ عَلَى جَسَدِي  
أَوْ قِبَابًا مَقْدَسَةً  
أَوْ نِسَاءً عَرَقْنَ عَلَيَّ  
وَبَدَّلْنَ رَائِحَتِي  
لَيْسَ ثَمَّةَ فَرْقٌ لَدَى رُجُلٍ مَيِّتٍ  
بَيْنَ جَنَّتِهِ وَالتَّرَابِ  
وَبَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِ قَاتِلِهِ

قاتلي وأنا  
نلتقي دائماً مثلَ ليلينِ  
عندَ تقاطعِ أرواحنا  
ليرى موتهُ وهو يتبعهُ خُطوةً خُطوةً  
وأرى جَسَدِي صافياً مثلَ منبعِ نهرِ

دوئماً سببِ لا أحبِّكِ  
لكِنِّي أَقْتَنِي أَثَرَ الْمَاءِ فِيكَ  
وَأَتَّبِعُ جَذْرِي .  
ثمَّ أَلْقِي عَلَيَّ قَاتِلِي نَظْرَاتِي الْأَخِيرَةَ  
كَيْ أَصْفَ الْأَرْضَ  
وَهِيَ تَمِيدُ  
وَتَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ حَجْرًا حَجْرًا

لتعودَ إلى نفسها .

إنني رُجِلٌ مَيِّتٌ  
مثلُ كلِّ الرجالِ  
بلا رغبةٍ ترفُّعِ الماءِ حتَّى يلامسَ خصري .  
وبلا كلماتِ شهيدٍ  
رمى دمه كالطريقِ  
ومرَّ  
ولم يتكلَّمْ إلى أحدٍ عن هناك  
ولم ينتظر  
ليرى من سيمشي على دمه بعده

هكذا

لا أحبُّك .

لا تكرهيني .